تدعى ذات يوم الى دخولها ، فتسهل لنا هذه المعرفة التصرف ونحن على اطلاع جيد ٠(١)

ان هذا التذكير التاريخي القصير لا يعني مباشرة أن جاك بيـــرك ، وارث شرعـــي للايديولوجيا الاستعمارية ولسوسيولوجيتها الاسلامية داخل الحـــرم المقدس للكوليـــج دو فرانس ، المحور الاساسي للمبادلات بين الشرق والغرب ٠ على العكس ، فان بيـــرك منظر لتصفية الاستعمار أكثر خطورة من فرانز فانون ! وقد كتب فوق غلاف الكتاب بأن بيرك « ينذر الاستشراق العتيق بالانفجار النابع من ذاته » ٠ لنتتبع ، اذن ، شرارات هذا الانفجـــار ٠

يعلم الجميع ان بيرك مستشرق محترف ، ينشر بانتظام كتبا عن العرب (« عن عربه »)٠ وأمام تعقيدات المهام النظرية التي تثقل كاهل أساتذة هذا الكوليج ، لجا بيرك ، تدريجيا ، الى تأسيس « نظرية » خفيفة الوزن ، اقليمية ، تتعلق بالعرب وبالعالم الثالث ٠ ووضع هذه النظرية يتسارع بتسارع مع حركة تصفية الاستعمار ٠ تبدو هذه « النظرية » ، لاول وهلة ، خاضعة للنزوة ،تلفيقية،وانتهازية بكيفية مباشرة : انها تقتطف خطفا عناصـــر ومفاهيم تنتمي لاشكاليات متباينة ٠ ولغة كتبه عتيقة وغائمة المعاني ٠ ان كتابته تطبـــخ معالم احتفال تطبعه السيولة والبلاغة المتكلفة ، والعبارات الزئبقية والتكرار والاشارات٠٠ باختصار ، تتوفر كتابته على جميع عناصر مظهرية الفكر ، وعلى التصنع البلاغي ٠

لكن علينا أن ننظر بجدية الى مثل هذا التصنع : انه يخفي عربا من نوع نادر ، وهذا النوع هو الذي نريد ان « نزوره » بدورنا ٠ هؤلاء العرب من أين يأتون ؟ والـــى أيـــن يمضـــون ؟

انهم يأتون مباشرة من الميتافيزيقا بالمعنى الذي يعطيه هيدجر لمصطلح الاونطولوجيـــا اللاهوتيـــة L'Onto-theo-logie بهذا المعنى ، تكون الميتافيزيقا هي فكر الوجـــــود باعتباره قائم الذات ٠ وبذلك تتيح انبثاق محرك اولي ، موجود اولي ، يحـــدد مراتـــب الموجودات والاشياء ٠ لاجل ذلك فان مسألة الظل Simulacre تزعزع ميتافيزيقية الكينونة، انها تبرز في المرآة مجموع سلسلة المقولات الاساسية : الواحد ، الكل وما هـــو نفسه ، المغاير والمطابق ، الغياب والحضور ٠

ان هذه مسألة ذات أهمية حاسمة ، ولا نستطيع هنا سوى الاشارة الى توجيه عـــام ، وتحديد القلق الداخلي لمثل هذا التأكيد ٠ فمقالة جدالية مخاصمة مثل مقالتنا ، لها حدود تركيبها واستراتيجيتها ٠ اننا نكتبها خطفا واغتصابا لنرد على نوع من الاعتداء ٠ ومـــا دامت نوعا من الالتماع السافر يعلو الوجه ، ويمس حقيقة القناع الخاص ، فانها تنحو الى اقامة الحوار حول العنصر الوحيد لعنف التساؤل ٠

هل الاسلام ، في حد ذاته ، قابل لان يتناول من خلال ميتافيزيقا ذات اصل غربي ؟ أين يقع موضع تدخل الاستشراق ؟

يتوجب ان نستخلص الان الملامح الغالبة على الاستشراق ، وذلك بقصد استحضـــار الاتجاه البعيد الذي يدعم الخطاب الاستشراقي ٠

١ ــ باعتبار الاستشراق يستهدف تحليل موجود (لساني ، تاريخي ، ديني) محدد ، يحمل اسم الشرق ، بدون طرح مسألة الكينونة والظل طبقا لفكر مغاير متيقظ وقوي ، فانه